

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في النص الأدبي القديم (شعر)

المحاضرة السادسة : (شعر الزهد والتصوف ،نصوص من المشرق والمغرب :أبو العتاهية
وابن الفارض)

السنة الأولى ليسانس المجموعة أ

إعداد: سامية أجقو

1- مفهوم الزهد :

الزهد : هو حنين الروح إلى مصدرها الأول لمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا
ومتاعها والرغبة عن نعيمها وتفضيل نعيم الآخرة عليها .

وتردد في القرآن الكريم دائما الدعوة إلى الزهد في الحياة الدنيا ومتاعها الزائل ،وهي دعوة
تحمل في تضاعيفها الحث على التقوى والعمل الصالح ، فالمسلم الحق من عاش للآخرة
ورفض عرض الدنيا .

وزاهد الأمة الأول محمد صل الله عليه وسلم ، ويروى أن رجلا جاءه فقال : يا رسول الله دلني
على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس ، فقال : (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما
عند الناس يحبك الناس). وقد اندفع وراءه كثير من الصحابة يحيون حياة زاهدة متقشفة
وعلى رأسهم أهل الصفة ، وهم نفر من فقراء المسلمين اتخذوا صفة المسجد منزلا لهم ،

وعاشوا على صدقات الرسول والمترفين يعبدون الله حق عبادته مرتلين آيات الذكر الحكيم ، وكان وراءهم كثيرون أخلصوا أنفسهم لتقوى الله حق تقواه ، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعلي وعمر وعبد الله بن عمر وأبو الدرداء و أبو زر ، وعبد الله بن عمر بن العاص وكان يقطع نهاره صائما والليل قائما يصلي لربّه وفي هذا صور كثيرة عن المجاهدات والرياضات للنفس .

ومن اشتهروا بكثرة أشعارهم في الزهد عبد الله بن عبد الأعلى ، ويظهر أنه كان يستمد في زهده من منابع بعيدة عن الاسلام ، إذ يرى من كتبوا عنه يتهمونه في دينه ويقولون أنه سيء العقيدة وهو في أشعاره يقف كثيرا عند فكرة الفناء من مثل قوله :

يا ويح هذي الأرض ما تصنع أكلّ حيّ فوقها تصرع

تزرعهم حتى إذا ما أتوا عادت لهم تحصد ما تزرع¹

2- المراحل والعوامل التي ساعدت على نمو الزهد

يمتد الزهد إلى العصر الجاهلي وقد كان أقرب مما يكون إلى الحكمة ومن أمثله قول لبيد :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي لب إلى الله وائل

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وعندما جاء الاسلام عمل على تعديل المفاهيم السابقة ومنها الزهد إذ منحه أشكالاً تتلاءم وتعاليمه الجديدة . إذا كان عصر النبوة هو المولد الحقيقي للزهد الاسلامي فإن لعصر بني أمية دور بالغ في انمائه وتطوره ولقد شهد القرن الأول الهجري منه تطورات وأحداث جديدة عملت مجتمعة على تغذية حركة الزهد ونموها :

العامل السياسي : فقد حاقت الفتن بالمسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) واختلط عليهم وجه الحق فيها ، وهكذا بدأت البذور الأولى لنمو الزهد لتمثل ظاهرة

دينية فكرية رغبت بالزهد وقد ظل النزاع قائما بين فرق المسلمين إلى أن آلت الخلافة إلى العباسيين وفساد إدارتها السياسية .

- **العامل الاجتماعي:** كان الترف سببا في اتجاه قسم من الناس عن روح الدين والتوجه للهو والمجون وقد أعانت السياسة الأموية على ذلك باسباغ العطايا والمنح الجزيل على أهل الحجاز لاشغالهم عن السياسة والخلافة . أما في العصر العباسي فقد كان الترف والنعيم أكثر كما كثرت مجالس اللهو والشراب والجواري فشاع الفسق في المجتمع العباسي وفي بغداد على وجه التحديد وهو ما دفع عددا من الناس إلى استهجان الحياة متخذين لأنفسهم موقفا خاصا وهو الزهد والرغبة عن ملذات الدنيا .

- **العامل الثقافي:** تقدمت الحياة الفكرية والثقافية في المجتمع الاسلامي بعد حركات التحرر والفتح لاسيما القرنين الثاني والثالث إذ حصل لقاء بين الثقافات العربية والفارسية والهندية واليونانية ، وبدأت تأخذ مكانها في الأدب العربي وقد كان لهذه الحركة الثقافية والفكرية دورها في نمو الزهد .

- **العامل الذاتي:** إذ أثرت بعض النفوس الوحدة وخشيت في التعامل مع الآخرين أن تقع في محذور أو حرام فتعففت واتجهت إلى الزهد .

وتكونت حركة الزهد بحسب بيئاتها وإن اتفقت في مصادرها ففي المدينة كان الزهد وثيق الصلة بالقرآن والحديث ، وفي البصرة اتجه إلى نزعة عقلية ودينية عن طريق القصص والوعظ .

وكل هذه العوامل مجتمعة قدّمت غرضا شعريا دينيا ذا طابع زهديّ متميز² .

¹ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي 2 العصر الاسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 7 ، ص 369 ، 371 ،

.373

²ينظر: بان حميد فرحان ، شعر الزهد النسأة والتطور ، دراسة تحليلية نقدية ، مجلة كلية الآداب ، العدد 103 ، جامعة بغداد ، ص

، 79 ، 78

أبو العتاهية¹:

اسمه اسماعيل بن القاسم وكنيته أبو اسحاق والعتاهية لقب غلب عليه ، ولد في بلدة عين تمر بالكوفة ، وقد نشأ نشأة وضيعة فقد كانت أمه مولاة وأبوه بائع جرار وكان حجّاما وكان لأبي العتاهية نفس ميالة إلى مخالطة الشعراء المجّان والتردد إلى محلات المغنين والقيان واكتسب آنذاك صديقا أخلص له الود وهو المغني إبراهيم الموصللي .

وفي الخمسين من عمره حدث تحوّل كبير في حياته ، إذ انقطع عن مجلس الرشيد ، وأضرب عن قول الشعر في الحب إذ يدعو الرشيد فيأبى يسجنه وفي هذا نظم قصيدة مطلعها

أما والله إن الظلم لوم ولكن المسيء هو المظلوم

ويرقّ الخليفة له ويأمر بإطلاقه ، وقد مضى أخريات حياته بالزهد والتوبة والاستغفار إلى وفاته . ولعل من أسباب ذلك :

- احساسه الدفين بضعة أصله

- احساسه النفسي حمله على أن ينادي بأن التقوى هي العز والكرامة بالنسبة للإنسان المسلم

- صدمته في حبه للفتاة عتبة هي نقطة التحول الحقيقية في حياته

- اتصاله بالثقافات المختلفة في عصره ومنها حركة الزهد .

الهي لا تعذبني فإني مقرر بالذي قد كان مني

ومالي حيلة إلا رجائي وعفوك إن عفوت وحسن ظني

فكم من زلة لي في البرايا ولأنت عليّ ذو فضل ومنّ

إذا فكرت في ندمي عليها عضضت أناملتي وقرعت سني

يظن الناس بي خيرا وإني لشرّ الناس إن لم تعف عني

3 - شعر التصوف :

اختلف مؤرخو الأدب في وجه اشتقاق كلمة صوفية ووضعا لذلك نظريات كثيرة :

- مشتق من (الصوفانة) الذي يعني نوعا من النبات ونسب إليه الصوفية لاكتفائهم بنبات الصحراء

- مشتق من الصف الأول انتسابا إلى أولئك الذين كانوا يحافظون على الصلوات في أوقاتها ويلزمون الصف الأول .

ولعل أكثر ما اطمأن إليه مؤرخوا الفلسفة الإسلامية أن كلمة تصوف مشتقة من الصوف الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع .¹

ولم يكن الاختلاف بين الباحثين في اشتقاق الاسم فحسب ، بل تعداه إلى مفهوم التصوف كمذهب أو فكر أو نظرية ، وعلى العموم فهو تزكية النفس وتصفيتها وتطهيرها من أدران الجسد . وهو محبة الله والفناء فيه والاتحاد به كشفا وتجليا من أجل الانتشاء بالأنوار الربانية والتمتع بالحضرة القدسية .

4 - أعلام التصوف:

ذو النون المصري² : (أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم) : كان أول من فسّر إشارات الصوفية ، وأول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي وكان له أكبر الأثر في تشكيل الفكرة الصوفية :

أموت وما ماتت إليك صبابتي ولا رويت من صدق حبك أوطاري

¹ ينظر: محمد مرتاض : التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي (في الخمسية الهجرية الثانية) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009 ، ص 3 .

² ينظر : عبد المنعم حقي ، الموسوعة الصوفية ، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر ، ط1 ، 2003 ، ص 225 .

مناي المنى كل المنى أنت لي منّي
وأنت الغنى كل الغنى عند إقصاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتني
وموضع شكواي ومكنون اضماري

رابعة العدوية¹:

كانت رابعة زاهدة باكية حزينة طابعها يشبه طابع حسن البصري ، غير أنها زادت عليه عاملا جديدا ، ذلك أن رابعة لم تصدر في زهدا وعبادتها عن خوف وحزن فقط بل عن الحب الذي تتخذ

فيه من الله موضوعا يشنق إليه الإنسان ، ويقبل عليه لا خوفا من ناره ولا طمعا في جنته بل ابتغاء لوجهه واجتلاء لطلعته .

ابن الفارض : (أبو حفص عمر بن علي الحموي المصري)

شاعر صوفي مشهور بل هو أشهر شعراء الصوفية العرب ، وله تائية تحدد خصائص تفكيره الصوفي ، وقف شعره على التصوف والعشق الإلهي وأكثر فيه من الغزل و نعت الخمر ولذة الوصل وهو من أصحاب المذهب الرمزي .

نسخت بحبي آية العشق من قلبي فأهل الهوى جندي وحكمي على الكل

وكل فتى يهوى فإني أمامه وإني بريء من فتى سامع العذل

ولي في الهوى علم تجل صفاته ومن لم يفقه الهوى فهو في جهل²

¹ينظر: محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الاسلام، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر نمصر ، 1970 ، ص76 .

²ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب ، مصر ، ص 216، 217 .